طريقة تصنيف المصطلحات الأدبية في المعاجم العربية المعاصرة (قراءة نقدية)

علي نجيب إبراهيم

اللاذقية

مقدمة:

كان على اللغة العربية أن تواجه الآفاق التي فتحها التفاعل الثقافي بين العرب والحضارة الحديثة بسائر ميادينها. حتى لقد بدا أن النهضة العربية تعني على الصعيد الفكري تحديث اللغة وتطوير قدراتها التعبيرية، والتركيبية، والاشتقاقية بما يتناسب مع ظهور تيارات فكرية وفلسفية وأدبية لم تعرفها من قبل. وسواء أكان هذا المد الواضح لتلك التيارات طبيعيا أم مجرد استيراد لـ"فكر غربي"[1]، تبقى ضرورة تجديد اللغة العربية في المجال الاصطلاحي قائمة، لا محيد عنها. فتجديد اللغة يعني تجديد الإنسان؛ لأنها كيان متصل بكينونته الفردية-الاجتماعية، وهي تشكل ذاته المحققة التي يقاس بها مدى إسهامه في إغناء الفكر الإنساني وتقدمه.

ولم تكن ضرورة التطوير غريبة على اللغة العربية التي سبق لها أن واجهت مجموعة ثقافات واستوعبت إنجازاتها بالترجمة والتعريب والنحت والتوليد، وإذا كان تلاقحها الثقافي بدأ يعطي ثماره منذ القرن السابع الميلادي، فقد بلغت في القرن العاشر ذروة التأليف والتصنيف في العلوم والآداب - وشرع اللغويون بإفراد المعجمات اللغوية، واللغوية الاصطلاحية أو القريبة منها، على نحو ما قام به الثعالبي في كتابه "فقه اللغة وسر العربية"[2]، مستفيدا ممن سبقوه في هذا الميدان كالخليل والأصمعي والكسائي والفراء وأبي زيد وابن دريد وغيرهم.

وقد سار القائمون على المجامع اللغوية في عصرنا الحاضر على القواعد التي رسمها علماؤنا القدماء، وأضافوا إليها رؤية عصرية جديدة مستمدة من تجارب اللغات الأخرى،

---

[1] انظر: علوش (سعيد)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، بيروت ١٩٨٥، ص. ص ٩، ١٠.

[2] انظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، منشورات شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٥٤. وانظر: الدقاق (عمر)، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، منشورات جامعة حلب ١٩٧٥، ص ١٥٣.

THE ARABIST. BUDAPEST STUDIES IN ARABIC 11–12 (1994)
https://doi.org/10.58513/ARABIST.1994.11-12.8

تتجلى فيما أقره المجمع، وفيما يستخدمه المحدثون حيث جاء "المعجم الوسيط" استجابة هامة لهذه الحاجة الحضارية الملحة[٣].

غير أن المعجم الوسيط لم يقطع سوى خطوة لم تعد كافية، وليس بمقدورها أن تواكب غزارة ما يفد إلى الثقافة العربية من نتاج أدبي ونقدي وفلسفي وعلمي، ولا سيما في مرحلة ازدهار الاتصال بين شعوب العالم، من حيث سرعته، وتعدد مساربه، وتياراته وغزارة ما تهمله. مما يستدعي الفرز بين أنساق المعرفة، وإتباع المناهج التخصصية تمهيدا لولادة المعاجم الاصطلاحية التي من شأنها أن تمد البحث العلمي بتعميقه وضبطه. على أن ما يشغلنا الآن هو أن نعرض باختصار شديد لما آلت إليه المساهمات المذكورة وهي تخوض تجربة جديدة وشاقة في آن معا.

معاجم المصطلحات الأدبية:

أثبت نزار قاسم في كتابه المشار إليه (ص ١، حاشية ٣)، ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين معجماقديماوحديثا، ليس من بينها أي معجم خاص بالمصطلحات الأدبية العربية أو الأجنبية، مع أننا قد نجد طائفة من هذه المصطلحات مثبوتة في معاجم قريبة من الأدب، سواء أكانت نفسية أم تربوية، أم فنية وجمالية. ومرد ذلك، على أغلب الظن، أن العربية كانت أحوج إلى الألفاظ العلمية والتقنية التي تستجيب ترجمتها لمتطلبات المشتغلين في العلوم الزراعية والصناعية والعسكرية وغيرها[٤] مما لا مجال للتوسع فيه الآن. ويبدو من جهة أخرى أنه كان ينبغي أن يمضي زمن طويل يقارن خلاله اللغويون مصطلحات التراث الأدبي والنقدي الذي تركه العرب القدماء بالمصطلحات الطارئة على اللغة العربية من الآداب واللغات الاخرى، وذلك قبل الشروع في تأليف معاجم خاصة بالمصطلحات إياها. إذا لا غرابة في أن لا يلتفت إلى هذه الناحية قبل الستينيات، وفي أن تكون الترجمة نقطة الانطلاق إليها[٥]. أما في السبعينيات والثمانينيات فظهرت مجموعة

---

٣ صدر المعجم الوسيط عن مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٠ في جزأين، أشرف على طبعه د. عبدالسلام هارون، يحتوي على مليون كلمة، وثلاثة آلاف مادة، وهو مرتب هجائيا مع مراعاة الحرف الأول فالثاني من أصل الكلمة، يتميز بإثباته لكثير من المصطلحات في شتى العلوم، وقد تزامن صدوره مع ظهور الطبعة السابعة عشرة لـ"المنجد في اللغة والأعلام" الذي كان قد أصدره "لويس معلوف" منذ سنة ١٩٠٨. لكن المعجم الوسيط أكثر دقة من المنجد في التعامل مع الدخيل والمعرب والمولد، وإن كان يعاني من نواقص غير قليلة. انظر: د. الخطيب (عدنان)، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٧، ص. ص ٨٢-٦٥، وانظر: قاسم (نزار)، المعاجم العربية في العلوم والفنون واللغات، ترتيبها، محتوياتها، استعمالها، جامعة بغداد ١٩٦٨.

٤ كمعجم المصطلحات الأثرية، والجغرافية، والحراجية، والطبية، انظر: المرجع السابق ص ص ١٥١-١٣١.

٥ انظر: رزق غالي (وجدي)، المعجمات العربية، ببليوجرافية شاملة مشروحة، تقديم د.حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧١، ص ١٣٥، حيث يورد اسم أول معجم اصطلاحي بالإنكليزية عنوانه "المعجم المتخير للمصطلحات الأدبية الإنكليزية" تأليف ياموكي، وبيريهان، مطبوعات جامعة بغداد

من المساهمات والتآليف المعجمية الاصطلاحية فاتحة الطريق أمام الباحثين والنقاد لتعميق قضاياها، وطرائق تصنيفها، وتدقيق منهجها حتى تكون معينا للدارسين في حقلي النقد والفكر حاضرا ومستقبلا. ولعل من المفيد ذكر أهم تلك المساهمات وفق التسلسل الآتي:

١ - مساهمة في دراسة الألفاظ العربية للنقد الأدبي: شارل فيال، ومجدي وهبه، مجلة آرابيكا، عدد ١، ١٩٧٠.

٢ - معجم مصطلحات الأدب [إنجليزي - فرنسي- عربي]: مجدي وهبه، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤.

٣ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت ط ٢، ١٩٨٤.

٤ - معجم مصطلحات النقد الحديث: حمادي صمود، حوليات الجامعة التونسية، عدد ١٥، ١٩٧٧.

٥ - المعجم الأدبي: جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩.

٦ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٥.

٧ - معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، تونس ١٩٨٦.

٨ - قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: د. أميل يعقوب، د. بسام بركة، ومي شيخاني، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧.

ويترافق مع المعاجم الاصطلاحية ما درج عليه الباحثون والمترجمون من تثبيت فهارس بالمصطلحات الأدبية أو اللغوية في آخر الكتاب المؤلف أو المترجم[٦]. وأهمية هذه الفهارس لا تتوقف عند توخي الدقة المنهجية النقدية، إنما هي إكمال للخطوات التي قطعتها المعاجم المشار إليها، وتطوير لها أيضا، هذا إذا لم تكن في جوهرها ضربا من المعاجم الإلحاقية الموجزة التي تلاحق تدرجات مدلول مصطلح ما عند هذا الناقد أو ذاك.

١٩٦٦. أما موسوعة المصطلح النقدي التي بدأ ظهورها بالانكليزية، فقد ترجمها د. عبد الواحد لؤلؤة سنة ١٩٧٨. منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وصدر منها ثلاثة أجزاء.

٦ نذكر منها على سبيل المثال: ١) التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس ١٩٨٢، ويتضمن ٢٥٦ مصطلحا لسانيا. ٢) دليل الدراسات الأسلوبية، د. جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٤. يتضمن ٦٢٠ مصطلحا. ٣) نقد النقد، تزفتيان تودوروف، ترجمة سامي سويدان، مركز الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٦. ويتضمن ١٠٤ مصطلحات. على حين أن محمد عزام لم يراع ذلك في كتابه المهم: الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٩.

إلا أن ما يجب التركيز عليه في بحثنا هو إبراز السمات الأساسية لطريقة تصنيف بعض المعاجم التي أوردناها أعلاه، وللغايات العلمية الرامية إليها. على أن ما تحسن الإشارة إليه قبل التعرض لذلك نقطتان تتفرع عنهما نقاط:

١ - تتعلق النقطة الأولى باجتماع هذه المعاجم في الطبيعة الواحدة، إذ تورد المصطلح الأجنبي وترجمته العربية، أو كتابته بالحرف العربي مع الإبقاء على لفظه الأصلي في اللغة الأجنبية. وربما كان سبب ذلك أن المؤلف الواحد يشارك في أكثر من تصنيف (مجدي وهبه مثلا)، أو أن المؤلف اللاحق يتأثر بالمؤلف السابق فيعتمد طريقته العامة مضيفا بعض المصطلحات، أو موسعا جنبات تعريفاتها كما فعل مؤلفو قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (انظر المقدمة).

٢ - وتتعلق النقطة الثانية بأن غايات تلك المعاجم واحدة أيضا، حيث يمكن إجمالها، اعتمادا على مقدمات مؤلفيها، على النحو الآتي:

أ - سد النقص المنهجي الناتج عن كثرة المصطلحات الواردة وتضاربها.

ب - إغناء النظرة النقدية للدارسين العرب من خلال توحيد ترجمة هذه المصطلحات وتنظيمها منهجيا.

ج - تطعيم اللغة العربية باشتقاقات جديدة يدعمها نحت ألفاظ عربية تؤدي معاني الألفاظ الأجنبية.

استنادا إلي هاتين النقطتين يصح أن نجعل من تحليل مبنى بعض المعاجم، كما قلنا، نموذجا يمكن تعميم خصائصه على مباني المعاجم الأخرى الأقل شمولا ومنهجية. وهكذا سنقصر بحثنا على خمسة نماذج قد تقدم لنا قراءتها المنهجية فكرة كافية عن طرائق تصنيف المعجم الاصطلاحي الوليد بمفهومه العام.

نماذج للدراسة:

أولا : معجم مصطلحات الأدب: مجدي وهبه:

يمثل هذا المعجم عملا ضخما غزير المادة؛ إذ أن فيه /١٩٢٧/ مصطلحا بالإضافة إلى مسردين للألفاظ الفرنسية والعربية وثلثشة ملخصات تاريخية لمسرحيات كل من راين وكورنيه وشكسبير. وتقوم طريقة تصنيفه على خطة يوضحها المؤلف في المقدمة بقوله: "أما الطريقة التي انتهجتها في ترتيب هذا المعجم فهي أن وضعت المصطلح الإنجليزي، فالمصطلح الفرنسي، فالمثال الإنجليزي (والمقصود ما كتب فالإنجليزية في إنجلترا أو الولايات المتحدة الأمريكية)، فالمثال الفرنسي، فتأصيل المصطلحين في اللغات القديمة (مع مراعاة نقل الكتابة اليونانية إلي حروف لاتينية) كلماوجدت لذلك فائدة، وأخيرا المصطلح العربي يليه الشرح باللغة العربية يتخلله المثال العربي كلما استطعت إلى ذلك سبيلا. ولقد أطلت البحث عن المرادف العربي للمصطلح الإنجليزي أو الفرنسي، وكنت

كلما أعيتني الحيلة ألجأ إلى أقرب المصطلحات العربية لهذا المصطلح مع تنبيهي إلى ما بينهما من فرق، فإذا عجزت اجتهدت في ابتكار مصطلح عربي جديد"[٧].

لكن هذه الخطة لا تراعى على وجه محدد يعطيها صفة النظام، وذلك لأسباب عديدة منها:

أ - عدم الالتزام بأولوية المصطلح الإنكليزي المعتمدة في مقدمة المعجم؛ ذلك أن المؤلف يورد الكثير من المصطلحات العربية ويبحث لها عن مرادف فرنسي فانجليزي على عكس الترتيب المراد إتباعه؛ فمصطلح "أدب" يأتي في باب الـ A: *adab*[٨]، والبديع في باب الـB (نفسه، ص ٣٩، عمود ١). والمواليا *mawāliyya* (نفسه، ص ٣٠٧، عمود ١)، والمعلقات[٩] في باب الـM. وهكذا وكان ينبغي أن يدخل معاني هذه المصطلحات العربية المعروفة في شروحه للمصطلحات المشابهة في الانكليزية أو الفرنسية، ما دام قد عاد إلى بعض منها ليعطي مدلوله في اللغتين المذكورتين كما فعل بمصطلح "الأدب" الذي صنف في باب الـ A، بحسب الأبجديةالعربية، وفي باب الـ L، بحسب الأبجدية اللاتينية[١٠]. مما خلق مزيجا من المعايير بدل المعيار الواحد، وحمّل المعجم إضافات يمكن اختزالها، بل الاستغناء عنها لأنها معروفة عند القارئ العربي الذي يروم معرفة الجديد من مصطلحات الأدب ليضيفه إلى مفهومات التراث ومصطلحاته.

ب - عدم ضبط مفهوم "الأدب" برسم حدوده الواضحة التي تميزه من المفهومات العامة المثبتة في معاجم الألفاظ كلسان العرب مثلا. ولعلنا، لهذا السبب، نصادف طائفة من التعريفات العربية والأجنبية تتناول الأدب، ولا نخرج منها بتحديد واضح للمصطلح إياه. بل إن بعض العبارات التي يصر المؤلف على زجها في التعريفات تزيد في غموضه ومطاطيته مثل الأديب literary، ووسيط النشر (نفسه، ص ٢٨٨، عمود ٢) literary agent، والنادي الأدبي literary club والشهرة الأدبية (نفسه، ص ٢٩١، عمود ١) literary reputation وغيرها.

ج - خلط المعنى الشائع للكلمة بمعناها الاصطلاحي من غير النظر إلى أن ما كان يفيد معنى اصطلاحيا في وقت من الأوقات، قد يحوله التداول وكثرة الاستخدام إلى لفظة عادية يعرفها الناس جميعا بمعزل عن المعجم الاصطلاحي الذي يجب أن يتخفف منها. وما ذكره

---

[٧] معجم مصطلحات الأدب، التمهيد باللغة العربية، ص XII.

[٨] نفسه، ص ٥، عمود (١).

[٩] نفسه، ص ٣٣٣، عمود (٢). وثمة مصطلحات عربية كثيرة في غضون المعجم تزيد على المائة.

[١٠] نفسه، ص ٢٩١، عمود (٢). ونشير هنا إلى أن تلافي هذه الثغرة ممكن بإثبات المفهوم العربي والأجنبي للأدب، دونما الخضوع لازدواجية الترتيب الألفبائي.

مجدي وهبه من هذا القبيل غير قليل، وهاكم بعضامنه: المسخرة[١١]، المسرحية المقنعة (نفسه، ص ٣٠٤، عمود ٢)، التنكريات[١٢]، الجمهور العام[١٣]، الرائعة الفنية أو الأدبية[١٤]، العصر الوسيط[١٥]، المغزى[١٦]، الكتاب[١٧]، جامع الكتب[١٨]، الملاحظات العابرة[١٩]، البلاغ، النشرة[٢٠]..الخ.

د - الاختزال غير العلمي لجملة من المعاني المعروفة إلى درجة أنها من تحصيل الحاصل، مثلما نجد في شرحه لمصطلح أكاديمي academic بما هو متفرع عنه مثل جامعي: أي "ذو علاقة بجامعة أو مجمع علمي" (نفسه، ص ٢، عمود ١ و٢)، ومثل مصطلحي تقليدي: أي "متعلق بقواعد الموضوع لا بتطبيقها" ونظري: أي "ماليس علميا ولا يؤدي إلى نتيجة حاسمة" (نفس المصدر). فإذا قارنا هذا الشرح المختزل بما كرسه المؤلف من استفاضة في تقديم مضامين مصطلحات الفلسفة كتعريفه للماركسية وذكره المفصل لمبادئ البيان الشيوعي الذي أصدره ماركس (نفسه، ص ٣٠٣، عمود ٢)، تبين لنا أن التطويل غير اللازم قابل الإيجاز غير المفيد، وكان أولى بالمؤلف أن يأخذ بعكس ما أخذ به.

على أي حال، يبقى قصور المعجم قصورا معهودا في الأعمال الريادية، وإن كان يمكن الوصول من خلاله إلى نظام أكثر دقة حتى في مجال ترقيم المصطلحات؛ إذ ليس هناك ما يسوغ وجود رقمين لمادة واحدة: رقم للكلمة المفردة (تهميشة)[٢١]، ورقم للكلمة المجمعة (تهميشات)[٢٢]. فهل ترانا نسلم مع سعيد علوش بأن ما لاقاه هذا المعجم من نيوع في الوطن العربي لا يعود إلى دقته ولا إلى أهميته، بل إلى ظهوره في فترة فراغ،

---

[١١] masque، ص ٣٠٤، عمود (٢).

[١٢] masquerade، ٣٠٥، عمود (١).

[١٣] mass audience، ص ٣٠٥، عمود (١).

[١٤] masterpiece، ص ٣٠٥، عمود (١).

[١٥] mediaeval، ص ٣٠٨، عمود (٢).

[١٦] moral، ص ٣٣٠، عمود (٢).

[١٧] folio: الكتاب ذو القطع الكبير، ص ١٧٣، عمود (١) و(٢)، وقد أورد المؤلف (١٨) مصطلحا عن لفظة "كتاب".

[١٨] book-collector، ص ٤٩، عمود (١).

[١٩] obiter dicta، ص ٣٥٩، عمود (١).

[٢٠] bulletin، ص ٥٤، عمود (١).

[٢١] marginal note، نفسه، ص ٣٠٣، عمود (١).

[٢٢] marginalia، نفسه، ص ٣٠٢، عمود (٢).

أم نكتفي بالقول إنه محاولة جادة حققت شيئا من المنهجية وغابت عنها أشياء كالتي عرضناها آنفا ؟والحق أن مجدي وهبه تدارك نواقص معجمه الأول أو بعضا منها في المعجم الذي ألفه بالاشتراك مع كامل المهندس، والذي سندرسه في الفقرة اللاحقة مباشرة لبيان ما حققه من تقدم تصنيفي ومنهجي.

ثانيا: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه وكامل المهندس:

على الرغم من اعتماد هذا المعجم[٢٣] على المعجم الأول لمجدي وهبه، اعتمادا تاما، فإن في عنوانه على الأقل نظرة منهجية أكثر تخصيصا، ويفترض أن تكون أكثر دقة. فبدل أن يشتمل على المصطلحات الأدبية العامة، اقتصر على المصطلحات العربية. وقد اتبع مؤلفاه خطة معاكسة لخطة "معجم مصطلحات الأدب"؛ حيث بحثا عن المصطلح الإنكليزي المقابل للمصطلح العربي مستبعدين المصطلح الفرنسي ربما لزيادة التخصيص وتقليص الجوانب العامة للتصنيف. وإذا أضفنا حرصهما على اقتباس "تعريفات المصطلحات بالفاظ مؤلفيها القدامى وعباراتهم دون أي تغيير" (نفسه، ص ٧)، وعلى عرضها بنصها الأصلي، اتضح ما يمكن أن نلحظه من تقدم منهجي عندهما.

ولكن المعجم لم يسلم من عثرات عديدة ألمعنا إلى بعض منها في قراءتنا للمعجم الأول، ولعل أهمها على الإطلاق سيطرة فكرة الشمولية على المؤلفين إذ يقولان في تصديرهما للمعجم: "لقد خطرت ببالنا طويلا فكرة الشروع في وضع معجم شامل للمصطلحات العربية للغات والآداب [...] كما أننا لم ندخر وسعا في البحث عن مصطلحات اللغة العربية في شتى نواحيها، من أدب ومعان، وبيان، وبديع، ونحو وصرف، وعروض وقواف، ولهجات وتجويد، وتوحيد وفرق، وتفسير وحديث، إلى غير ذلك" (نفسه، ص ٧). ويترتب على فكرة الشمولية ضياع المعالم الواضحة بين علوم اللغة العربية وآدابها، وتقديم العامل الكمي على العامل الكيفي، فلو اتخذنا بعض القواعد الصارمة في الفصل بين ما يدخل الباب الاصطلاحي وما لا يدخل فيه، لسقط الكثير من المصطلحات التي لا تعني البحث الأدبي في شيئ ذي قيمة. ومن الأمثلة الكثيرة على ذلك: دار ابن رامين، ودار الحكمة، ودار الكتب[٢٤]، ودار الكتب العامة[٢٥]، ودار المحفوظات[٢٦]، ودار الندوة، ودار

---

[٢٣] تصدير المعجم، ص ٧. وقد لاحظنا، فعلا، أن معظم المصطلحات الإنكليزية مثبتة حرفيا في مكانها مع التبويب المتبع في "معجم مصطلحات الأدب".

[٢٤] library، نفسه، ص ١٦٥، عمود (١).

[٢٥] public library، نفسه، ص ١٦٦، عمود (٢).

[٢٦] archives، نفسه، ص ١٦٦، عمود (٢).

النشر[٢٧] ودار المعارف[٢٨]. فهذه كلها تسميات عامة ومعروفة ومكانها في معجم ألفاظ وليس في معجم مصطلحات، فضلا عن أن معظمها ليس عربيا في نشأته وتطوره كي نبحث عن معادل إنجليزي له. ومرة أخرى يكرر المؤلفان النقص المنهجي الذي يعتور "معجم مصطلحات الأدب" بعدم التزامه بأولوية المصطلح المصرح عنها في خطة التصنيف.

هذا من جانب، ومن جانب ثان لا نجد أي اطراد منطقي في تصنيف بعض أسماء الأعلام وإهمال أغلبها، مع أن لإدراج هذه الأسماء في معاجم المصطلحات شروطا خاصة لسنا الآن في معرض ذكرها. وعلى هذا لا نتبين أي سبب صريح أو ضمني لذكر اسمي امرئ القيس، وسلم الخاسر[٢٩]، وإغفال جملة من الشعراء والأدباء والفلاسفة العرب الذين ينبغي إيراد أسمائهم مادام باب المعجم مفتوحا لأمثالهم.

ويتلخص الجانب الثالث لضعف نظام التصنيف بعدم التفات المؤلفين إلى الدراسات الحديثة التي تناولت الكثير من المصطلحات بالدراسة والتحليل وأضافت إليها ما من شأنه أن يعمق فاعليتها المتوارثة عن الأجداد، ولا سيما في حقل "علم العروض" المتداخل في المناهج الحديثة مع علم الصوتيات والتقسيم المقطعي للتفعيلات القديمة. إذا ليس يكفي أن نعطي تعريفات البحور الشعرية بصورتها التقليدية[٣٠] دون الأخذ بمستجداتها الحديثة، وإذا كان بعض من نستعين بمؤلفاتهم مجددين في هذا المجال خاصة. فمن دواعي الاستغراب حقا أن يصدر هذا المعجم في طبعته الثانية المزيدة والمنقحة سنة ١٩٨٤، وتأتي تعريفات بحور الشعر متخلفة حتى عن وجهة نظر إبراهيم أنيس الذي عاد المؤلفان إلى كتابه "موسيقى الشعر" المنشور في القاهرة سنة ١٩٦٥. وما يقال في "علم العروض" يقال في "علم النحو" الذي لا تزيد مصطلحاته على الشروح المدرسية المفتقرة إلى أبسط القواعد المنهجية المعهودة في المعاجم الاصطلاحية، ففي مادة مصطلح "التوكيد"[٣١] مثلا نقع على المعاني المذكورة في كتب النحو القديمة والحديثة، ومنها التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي، وفي المادتين التابعتين مباشرة نجد مصطلحي: التوكيد اللفظي corroboration والتوكيد المعنوي emphasis، وتحتهما عبارة (انظر: التوكيد)[٣٢]،

---

[٢٧] publishing firm، نفسه، ص ١٦٦، عمود (٢).

[٢٨] encyclopaedia، نفسه، ص ١٦٦، عمود (١).

[٢٩] نفسه، ص ص ٦٢ و ٢٠٠، كما يذكران بعض الألقاب المعروفة في تاريخ الأدب العربي مثل: "ذو الرمة "لقب الشاعر غيلان بن عَقَبة، و"ذو الرياستين" لقب الفضل بن سهل، نفسه، ص ١٧٣.

[٣٠] فالبحر الطويل هو أحد البحور الخمسة عشر التي ابتكرها الخليل بن أحمد، وتفعيلاته [..-]، ومثاله قول المتنبي [...]، نفسه، ص ص ٢٣٨ و٢٣٩.

[٣١] emphasis، نفسه، ص ١٢٧، عمود (٢).

[٣٢] نفسه، ص ١٢٧. يعرف التوكيد بأنه، في اصطلاح النحاة من العرب، تابع يقرر معنى المتبوع في ذهن

وكان يمكن إثبات المعادل الانكليزي تحت مادة المصطلح الأول دون الحاجة إلى إضافة مادتين لا طائل من ورائهما. ونظير هذه الإضافة كثير في متن المعجم. ويتمثل بإحالات مقتضبة من كلمة إلى كلمة رديفة مع اعتبار الكلمتين مصطلحين مثلما نقرأ في الأمثلة: "سري (انظر: خفي، باطني). سرعة البديهة (انظر: قرب المأخذ). السكينة: (انظر: الطمأنينة) .. الخ" (ص ص ١٩٨ و١٩٩).

أما الجانب الرابع والأخير، إذا صرفنا النظر عن تراجع وهبه بتخليه عن تزقيم مفردات معجمه المشترك هذا، فيتعلق بتناقض في المنظور التصنيفي حيث يعتمد المؤلفان المصطلح العربي في متن المعجم، ثم يجعلان في آخره مسردا إنكليزيا - عربيا مرتبا بحسب الأبجدية الإنكليزية[٣٣]، وكأنما المصطلح الإنكليزي هو الأساس.

تأسيسا على هذه الجوانب قد يجوز الحكم على "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب" المتضمن ١٧٩٠ مصطلحا، بأنه معجم عام وليس معجما تخصصيا من شأنه أن يسعف الباحثين أو المترجمين في خلق لغة نقدية دقيقة في دلالتها الاصطلاحية ومترابطة منطقيا ومنهجيا أيضا.

ثالثا: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: سعيد علوش:

يتميز هذا المعجم بثلاث سمات رئيسية يجدر بنا أن نؤكد أهميتها، وهي:

أ) الوضوح المنهجي الذي يعتمده المؤلف في مقدمته عن "وضعية وموضعة المعاجم الأدبية"[٣٤] حيث يحدد مجموعة أفكار يرتكز إليها منظوره التصنيفي قبل أن ينطلق لنقد التصنيفات الاصطلاحية السابقة.

أول هذه الأفكار أن المصطلحات الأدبية شديدة الارتباط بالموضوعات الثقافية، والتقاليد الأدبية.

وثانيها أن ظهور المدارس الأدبية كالكلاسيكية والرومانسية، والسريالية، والبنيوية عند العرب ظهور طبيعي لروح "الكليات الإنسانية" وليس "استيرادا لفكر غربي كما يحلو للفكر المؤسساتي اعتباره من منظور جدالية إيديولوجية عمياء"[٣٥].

وثالثها وجوب "أن يستبدل قارئ كتاب جيل طه حسين لغته، وأن يختار بين ولائه للمحدثين أو المعاصرين"؛ وذلك ليتسنى له أن يقرأ الأعمال النقدية المعاصرة: البنية القصصية في رسالة الغفران، لحسين الواد، [...] والأسلوب والأسلوبية لعبدالسلام

السامع، ويجعله متحققا بعيدا عن الاحتمال بحيث لا يظن به غيره. وهو نوعان: توكيد لفظي، وتوكيد معهوي.

[٣٣] انظر: المعجم من الصفحة ٤٥٦ حتى الصفحة ٤٨٤.

[٣٤] انظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، من ص ١٨-٧.

[٣٥] نفسه، ص ٩، وانظر: ص ١١ حيث يناقش المؤلف هذه القضية في ضوء العلاقة بين الشرق والغرب.

المسدي، والألسنية والنقد في النظرية والممارسة، لموريس أبو ناضر..الخ (نفسه، ص ١٠). وكان حاصل المقدمة المذكورة أن علوش كون تصورين:
حدوث تراكمات على مستوى الإبداع والنقد العربيين في الأدب المعاصر. تخلف معاجم المصطلحات الأدبية الموجودة عن مسايرة الإنتاج المعاصر (نفسه، ص ٩).
وجاء هذان التصوران في صلب ملاحظاته على هذه المعاجم التقليدية من جهة، والمقدمة لمصطلح لا يدعمه الإنتاج الإبداعي أو التنظيري العربي بالقدر الكافي من جهة ثانية، والتي يغلب عليها الجرد التاريخي من جهة ثالثة (نفسه، ص ص ١٤ ١٨).

ب) تكثيف المصطلحات من خلال تغليب الجانب المفهومي للمصطلح المتعدد الأبعاد الثقافية على الجانب اللغوي الأحادي البعد في تنضيده للاصطلاحات الميتة (نفسه، ص ٨). وكانت نتيجة ذلك أن المعجم لم يخرج إلا فيما ندر عن إطار المفهومات الأدبية بحصر المعنى، وأنه تخلص من كم كبير عانى منه المعجمان السابقان، إذ اقتصر على ٧٢٣ مصطلحا تتوزع بين نظرية الإبداع والشعر والرواية والمسرح.

ج) التصدي للمصطلحات الحديثة التي ولدتها المدارس النقدية المعاصرة منذ بداية القرن العشرين حتى تاريخ إنجاز المعجم، وبصورة خاصة الشكلانية والبنيوية. فلأول مرة نجد خارج الكتب المترجمة مصطلحات مستجدة: القراءة، البنينة، السردية، البؤرة، الشعرية وغيرها. ومع أن المؤلف يعتمد المنظور الفرنسي أساسا في معجمه، حتى في شرح مصطلحات غير فرنسية، يبقى تبني الحداثة مزية لا يمكن إنكارها، ولا التغاضي عن فوائدها للباحثين.

على أن المؤلف المقتدي بطرائق المعاجم الفرنسية في تصنيف المصطلحات وشرحها لم يتجاوز كثيرا نطاق الترجمة المدعمة باختلاف المعاني النقدية للمصطلح الواحد، حيث يرتهن التصنيف بهذا الاختلاف، فيستقصي أوجهه ويعددها. وهكذا يعطي مصطلح الأدب عددا من المدلولات المتطابقة فعليا مع وجهات نظر كل من "رولان بارت": و"ريكاردو" و"جينيت"، و"جماعة" tel quel و"سولير" (نفسه، ص ٣١). وإذا ما أضاف مدلولا آخر، جاءت إضافته غريبة عن طبيعة السياق النقدي المحدد مثلما نجد في المعنى الثاني للأدب إذ يقول في شرحه: "وهو موضوعات /قواعد/ تقنيات/ أعمال. ووظيفته في الاقتصاد العام لمجتمعنا، هي تطييع الذاتية" (نفس المصدر: ص ٣١). أما القاسم المشترك بين المدلولات المتباينة فهذا مما لا يلتفت إليه المصنف إلا في أحوال نادرة تخلع على خطة المعجم غموضا منهجيا غير معلل. ففي تعداده لمعاني مصطلح "الحضورية"[٣٦] السردية لا يكاد القارئ يتبين رأيه من رأي سارتر وغيره، وسبب ذلك أنه يعطي أرقاما مستقلة لتعليقاته التي تشكل جزءا مما قبلها أو مما بعدها، ولا يمكن أن تندرج في بند مستقل.

---

٣٦ Dieu le père، نفسه، ص ٦٨.

فلنتتبع ترقيمه لشروح مدلولات هذا المصطلح لتظهر كيفية تداخلها مع تعليقاته: الحضورية: ١)- نمط من الرواية يكون فيه السارد حاضرا باستمرار. ٢)- اصطلاح أطلقه سارتر...٣) - وتكاد تكون مرادفة للرواية البلزاكية. ٤) - ومن هنا جاء إطلاق السرد الحضوري والرواية الحضورية (نفسه، ص ٦٨) فالمعنيان الأول والثاني واضحان، والثالث شاهد على الأول، والرابع تعقيب وليس معنى قائما بذاته.

واللافت للنظر أيضا أن سعيد علوش يجتهد في تعريب بعض المصطلحات بحسب ما يراه مناسبا ويعرض عن تعريب ما ينبغي تعريبه. فهو يترجم المصطلح anti-heros (نفسه، ص ٥١) ب"البطل المزيف" ومن المعروف أن ترجمته الشائعة هي "البطل السلبي" أو "البطل المضاد" بما هو مناقض للبطل الإيجابي في نظرية الانعكاس ومقولات الواقعية الاشتراكية. كما يترجم المصطلح الزمني linearité (نفسه، ص ١٢٤) ب"السطرية"، وترجمته المتداولة هي "الخطية" في اتجاه الزمن من الماضي إلى المستقبل أو بالعكس. وتراه، بالمقابل يجنح في ٨٦ مصطلحا إلى كتابة اللفظ الفرنسي بأحرف عربية مثل السيم[٣٧]، والسيميولوجيا، والفانتازيا والفانتاستيك[٣٨]، والميثة والميثولوجيا[٣٩]، والسوسيولوجيا[٤٠] والسيكولوجيا[٤١]. ولقد ذهب إلى أبعد من ذلك عند ما نحت مصطلحات عربية - فرنسية بدمج لاحقة أو سابقة من اللغة الفرنسية بكلمة عربية من مثل: النحولوجي والسوسيونقدية[٤٢]، والاتنوأدبي[٤٣]. والخطوة غير الموفقة التي خطاها متمثلة في قياسه المطرد لكثير من المصطلحات على مصطلح "الإيديولوجيا"، وتفريعه لمجموعة من مفهومات مستغلقة على الأفهام كالإيقونوغرافيا، والإيقونولوجيا[٤٤].

وثمة عجالة في ترجمة بعض المصطلحات دونما اعتبار لترجمته السائدة، أو للمعادل الدلالي الذي يرادفه في الفرنسية وفي العربية. ففي الحال الأولى يترجم la poétique بالشاعرية مخالفا جملة من سبقوه وترجموا المصطلح بالشعرية[٤٥]. وفي الحال الثانية

---

[٣٧] seme, semiologie، نفسه.

[٣٨] fantaisie, fantastique، نفسه، ص ص ١٧٠ و ١٧١.

[٣٩] mythique, mythe، نفسه، ص ص ٢٠٦ و٢٠٧.

[٤٠] sociologie، نفسه، ص ١٣٩.

[٤١] psychologie، نفسه، ص ١٣٩.

[٤٢] socio-critique، نفسه، ص ١٣٧.

[٤٣] ethno-littéraire، نفسه، ص ١٢٧.

[٤٤] iconologie, iconographie، نفسه، ص ٤٤.

[٤٥] نفسه، ص ١٢٧، علما أن الشاعرية تقابل في الفرنسية le poétique، وهي مقولة جمالية غير الشعرية.

يترجم المصطلح distanciation[٤٦] ب"التباعد"، قاصدا المعنى اللساني الذي يبتعد المتكلم بموجبه عن الأسلوب المباشر في الكلام وهو يخلق مسافة بينه وبين تعبيره الخاص كي لا يتحمل تبعاته. وكان أولى به أن يأخذ بمفهوم "المسافة" في علم الجمال وفي علم اللغة، ولا سيما أنه صنفه مباشرة بعد مصطلح قريب إليه جدا هو مصطلح "البعد الجمالي"[٤٧]. وعندئذ يصير معنى المسافة جزءا من تعبير أسلوبي يمكن إلحاقه بعلمي الجمال واللغة معا، وإلا أوجب التخلي عن المعاني الأخرى أن يحدد المصنف ترجمته أو شرحه للمصطلح بعبارة "بالمعنى اللساني"؛ لأنه بمخالفته لهذه القاعدة يلغي نصيبا وافرا من مزايا المعجم. ونحن نخمن أن إعادة النظر في طريقة تصنيفه من زاوية أوسع من زاوية الترجمة سيكفل له تطورا وعمقا جد ضروريين.

رابعا: معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي:

تبرز في تصنيف هذا المعجم ظاهرتان: خلوه من مقدمة توضح كيفية ترتيب مادته الاصطلاحية، والأسس المتبعة في اختيار المصطلحات من ميدان أدبي دون آخر، وابتعاد المؤلف عن الترجمة الهادفة إلى إيجاد المقابل العربي للمصطلح الإنكليزي، إذ يلجأ إلى ملاحقة التطور التاريخي لمعنى المصطلحات أو لمعانيها مستعينا بأقوال الكتاب والنقاد ومؤرخي الأدب على السواء. حتى إنه في كثير من الأحيان يلاحق أصل التعبير في علوم أخرى لعلم الحياة[٤٨]، وعلم النفس[٤٩]، والموسيقى[٥٠]، والتاريخ[٥١].

إن غياب المقدمة ليترك مسائل كثيرة دون تعليل منهجي، فثمة أولا الانتقائية الخاضعة لمزاج المؤلف أكثر من تماشيها مع مبادئ التصنيف المنهجي؛ لأن معجما يتناول سائر علوم الادب دون تمييز لا يمكن أن يفي بالغرض من خلال ٧١٨ مصطلحا إلا إذا كان اجتزائيا وغير ممنهج. وعلى هذا نتساءل: على أي أساس يورد المؤلف مصطلح "الكوكني"[٥٢] ولا يورد مصطلح "الشعرية"، علما أن علاقة الأول بالأدب واهية قياسا إلى "الشعرية" التي هي من صميم المصطلحات النقدية، وعلى أي أساس يندرج مصطلح

---

[٤٦] نفسه ص ٥٢، ويرتبط المصطلح بالمسرح حيث يخلق الممثل مسافة بينه وبين ذاته ليمثل دور شخص آخر.

[٤٧] la dimension esthetique، نفسه، ص ٥١.

[٤٨] معجم المصطلحات الأدبية، ص ٤٩، مصطلح "الانتحاء: propisme على سبيل المثال.

[٤٩] نفسه، ص ١٣٩، مصطلح "الحساسية: la sensibilité على سبيل المثال.

[٥٠] نفسه، ص ١٠٩، مصطلح "تنسيق الإيقاع: cadence على سبيل المثال.

[٥١] نفسه، ص ص ٢٩٥ و٣١٦، والاستعانة بالتاريخ غالبة في المعجم.

[٥٢] cockney: لهجة لندن، نفسه، ص ٢٩٢.

"الأدب" (نفسه، ص ١١) في باب الألف، ومصطلح "جوهر الأدب" (نفسه، ص ١٢٥) في باب الجيم؟

أما اللجوء إلى ملاحقة التطور التاريخي لمعاني المصطلحات فلا عيب فيه سوى أنه لا يراعى دائما، فمرة يسهب المؤلف في الاستقصاء وضرب الأمثلة المتسلسلة تاريخيا[٥٣]، ومرة ثانية يختزل التعريفات إلى كلمات عامة، كتعريفه ل"الليبيدو" بأنه النفس غير الواعية، والغريزة الجنسية، أو إلى ترجمة لكلمة يعتبرها مصطلحا على الرغم من انعدام أهميتها مثل كلمة bibliolatry أي عبادة الكتب (نفسه، ص ٢٣٧). ولسنا ندري إلى أي حد قادته اعتباراته الخاصة التي لا تستند إلى منهج مترابط كي يصنف الفرق بين الرمزية والنزعة المجازية[٥٤] في مادة مستقلة عن الرمز والرمزية وفلسفة المدرسة الرمزية. إذ إن في بعثرة المدلول الجامع لهذه المصطلحات المترابطة ما يناقض النظرة التاريخية التي تسود معجمه. ونتيجة ذلك غابت أية إمكانية في إدراك غاية المؤلف، من إتباعه هذه الطريقة المفتوحة على الاتجاهات كلها، والحال أن التصنيف الاصطلاحي، على عكس التأليف الموسوعي، لا يحقق من جدوى إلا إذا تم تنسيقه وفق خطة محكمة البناء وذات منطق خاص يضمن، على الأقل، سلامة مقدماته ونتائجه.

ومما يلاحظ على غياب النظرة المنهجية في معجم إبراهيم فتحي أن الترتيب المعتمد في النظام الألفبائي فرنسي وإنكليزي في وقت واحد، والخلل ليس هنا وحسب إنما يظهر أيضا عند ما يكون المصطلح واحدا في اللغتين مع اختلاف الرسم الكتابي، فتارة يغلب الرسم الإنكليزي symbol (نفسه، ص ١٧١)، وتارة يغلب الرسم الفرنسي vision littéraire (نفسه، ص ١٨٨)، دون أي ضابط. ولو راعى أصل المصطلح لوجد حلا مناسبا لا يتناقض مبدئيا مع ما تنطوي عليه طريقته من اعتبارات تاريخية.

لقد تضافرت جملة النواقص السابقة لتوقع المؤلف في مغالطات مست التصنيف وكيفية فهم المصطلح وترجمته إلى العربية، فهو يرى أن المصطلح الصحيح للأدب يقتصر على النثر الفني، والشعر الذي تحكمه معايير الامتياز عن الكلام العادي (نفسه، ص ١١)، ولكنه لا يلتزم بهذا الرأي الذي يشي بتعريف محدد لمضمون معجم في المصطلحات الأدبية إنما يدخل فيه العلوم الإنسانية (نفسه، ص ص ١٥٨ و١٥٩)، والايتيمولوجيا، والمبدأ الاقتصادي-السياسي: دعه يعمل وكلمة "معجم" التي تدل على المعرفة الكلية، ومعنى الكلمة، والمعنى المعرفي (نفسه، ص ص ٢٣٦ و٢٣٧).

خامسا: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: د. إيميل يعقوب، د. بسام بركة، مي شيخاني:

---

[٥٣] انظر: تطور النزعة العصرية، ص ٩٢، وتيار الشعور، ص ١١٦.

[٥٤] Difference between Symbolism and Allegory، نفسه، ص ٢٥٧.

بعد تصريح مؤلفي هذا المعجم بأن افتقار المكتبة العربية إلى معجم شبيه به، وحاجة المثقفين العرب إليه ممن يعملون في الترجمة من العربية إلى الفرنسية أو الأنكليزية، جاء إيضاح المنهج العام في التصنيف مرتكزا على نظرة موسوعية تفوق نظرة مجدي وهبه، وكامل المهندس: "وقد أثبتنا فيه كل ما توصلنا إليه من مصطلحات اللغة والأدب، واضعين أمام كل مصطلح ما يقابله في الإنكليزية، ثم ما يقابله في الفرنسية، ثم التعريف مع بعض الشروحات والإيضاحات أحيانا، وقد ألحقنا بكتابنا مسردين: مسرد للمصطلحات الإنكليزية الواردة فيه، وآخر للمصطلحات الفرنسية، فأصبح معجمنا وكأنه خمسة معاجم في واحد: عربي عربي في أصله، وعربي إنكليزي وعربي فرنسي بإثبات المصطلح الإنكليزي والفرنسي مقابل المصطلح العربي، وإنكليزي عربي، وفرنسي عربي بالمسردين المثبتين في نهايته"[٥٥]. والحق أن ما قاموا به يتطلب جهودا كبيرة حتى بوجود معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لوهبه والمهندس، فالمقارنة العابرة تشهد على استفادتهم الكبيرة منه فضلا عن ذكرهم لذلك في المقدمة. إلا أنهم أضافوا إليه المقابل الفرنسي، وتفادوا ما أهمله من مصطلحات هي من صميم الأدب (نفسه، ص ٥).

وإلى جانب النظرة الموسوعية يفردون أربع نقاط تلخص طريقتهم في ترتيب المصطلحات والإحالة إلى المترادفات، وتقوم على ما يأتي من قولهم:

١) - أثبتنا المصطلح وفق نطقه لا جذره؛ ف"التشبيه" مثلا، صنف حسب حروفه: ت، ش، ب، ي، ه، لا جذره: ش، ب، ه.

٢) - في حال وجود مصطلحين مترادفين، وضعنا الشرح في أحدهما، معتمدين الإحالة في المصطلح الثاني.

٣) - أثبتنا المصطلح أحيانا بصيغة الجمع، وأحيانا بصيغة المفرد.

٤) - أثبتنا من أعلام الأشخاص بعض الألقاب والكنى المشهورة مع ترجمة موجزة لها (نفسه، ص ٦).

وليس في مقدمة المعجم أية إشارة إلى مقياس في اختيار المصطلحات التي توصلوا إليها، وكأنما المشكلة ليست مشكلة مقاييس يتقيد بها، إنما هي مشكلة سد نقص في المكتبة العربية. لذلك صار المعجم ضحية انتقائية غير مبرمجة؛ ففيه المصطلح العام، والتخصصي، وأسماء الأعلام من اللغويين والأدباء العرب القدماء، وطائفة من مؤلفات أدبية عربية وأجنبية، كما أن فيه الشرح المطول والاختزال الذي يصل إلى حد انعدام الشرح وتبني الإحالة في غير مكانها. وبوسع القارئ أن يكتشف عواقب الانتقائية عن طريق عملية إحصاء بسيطة: فمن أصل ١٨٩٠ مصطلحا يشملها هذا المعجم يوجد ١٧١ اسم

---

[٥٥] قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، المقدمة، ص ٥.

علم[٥٦]، و١٨ كتابا أو عملا أدبيا[٥٧]، و٤٣٠ إحالة من مصطلح مثبت بالاسم فقط إلى مصطلح سبق شرحه، باستخدام كلمة (انظر). وإذا كان اسم أديب ما أو لقبه لا يمت بصلة إلى الحقل الاصطلاحي، وكذلك عناوين مؤلفاته، فإن نظام الإحالة من مستلزمات التصنيف المعجمي بسائر أنواعه. ولكن هذا لا يعني أن استخدامه مجرد من الضوابط على نحو ما فعل مؤلفو **"قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية"** في السياقات التصنيفية الآتية:

أ - **الإحالة من كلمة أجنبية مكتوبة بحروف عربية إلى مصطلح عربي:** الاستاتيك، الاستطيقا: (انظر: علم الجمال، نفسه، ص ٣٢).

ب - **الإحالة من مصطلح عربي إلى مصطلح أجنبي مكتوب بحروف عربية:** الاتباعية: (انظر: الكلاسيكية، نفسه، ص ١٦)، وفي الحال نفسها يثبت المصطلح العربي إلى جانب المصطلح الأجنبي المكتوب بحروف عربية، دون اللجوء إلى الإحالة: الإبداعية، الرومنسية، الرومنطيقية (نفسه، ص ١٠).

ج - **الإحالة من المفرد إلى الجمع دون دلالة اصطلاحية جديدة أو إضافية:** القينة. (انظر: القيان)[٥٨] اسم الإشارة: (انظر: أسماء الإشارة)[٥٩].

د - **الإحالة من الجمع إلى المفرد دون مسوغ دلالي أومنهجي:** القيود: (انظر: القيد)[٦٠].

ه - **الإحالة من المصطلح إلى لفظة تغاير معناه:** الاتزان (نفسه، ص ١٦) (انظر: التوازن)[٦١].

و - **الإحالة من صيغة إلى صيغة مختلفة للمصطلح نفسه:** الأسجوعة: السجعة. انظر: السجعة[٦٢].

وعلى المنوال ذاته يحشى المعجم بكثير من المفردات المتشابهة التي لا تدل إلا على قصور التصنيف عن الإفادة ووضع المصطلحات ضمن حدودها المرسومة. فمن القرآن الكريم وحده نقرأ في المعجم عشرة مصطلحات متباعدة في مواقعها: الكتاب[٦٣]،

---

[٥٦] منها مثلا الأسماء التي تبدأ بكلمة (ابن): ابن الأثير، ابن جروم، ابن حزم ... الخ، نفسه، ص ص ١١ و١٢ و١٣ و١٤، وبكلمة (أبو): أبو تمام، أبو حيان، أبو شبكة، ص ص ١٤ و١٥.

[٥٧] منها مثلا "معجم الأدباء" لياقوت الحموي، و"أساس البلاغة" للزمخشري، نفسه، ص ص ٣٠ و٣١.

[٥٨] song stresses، نفسه، ص ٣٢٢.

[٥٩] pronoms demonstratifs، نفسه، ص ص ٤٣ و٥١.

[٦٠] القيود في النحو هي التكملة complement. انظر: التكملة، نفسه، ص ص ١٤٦ و٣٢٢.

[٦١] والغريب أن كلمة "التوازن" غير موجودة في المعجم.

[٦٢] morceau de prose rimée، نفسه، ص ص ٤١ و٢٢٦.

[٦٣] Coran، نفسه، ص ٣٢٥.

المصحف[٦٤]، القرآن[٦٥]، تفسير القرآن[٦٦]، الأحرف السبعة في القرآن[٦٧]، علوم القرآن[٦٨]، الفاتحة[٦٩]، السورة القرآنية[٧٠]، ... الخ. وثمة عن بحور الشعر والدوائر العروضية[٧١] ما يمكن إجماله بعمود واحد من صفحات معجمية كثيرة يشغلها. حتى كلمة "طبعة"[٧٢] تستغرق ثمانية مصطلحات: الطبعة، الطبعة الأصلية[٧٣]، الطبعة المحققة[٧٤]، الطبعة المزيدة[٧٥] ... الخ. وكلمة شاعر ومشتقاتها تستغرق خمسة مصطلحات[٧٦].

وقد حاول مصنفو هذا المعجم ملاحقة المصطلحات التي يجمعها ميدان نظري واحد، فاتخذوا من المصطلح عنصرا ثابتا، وكونوا حوله حقله الدلالي لما في مصطلح **ائتلاف**، وما يدخل فيه: ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت (**التخير**) (نفسه، ص ص ٧ و ١١٣) وائتلاف اللفظ مع اللفظ[٧٧]، وائتلاف اللفظ مع المعنى[٧٨]، وائتلاف اللفظ مع الوزن[٧٩] ... الخ. ولكنهم سرعان ما خرجوا على هذه القاعدة المنهجية إذ فرقوا بين

---

[٦٤] Coran، نفسه، ص ٣٦٠.

[٦٥] Coran، نفسه، ص ٣١٥.

[٦٦] Exegese du Coran، نفسه، ص ١٤٠.

[٦٧] Les Sept Lectures du Coran، نفسه، ص ٢١.

[٦٨] Les Sciences du Coran، نفسه، ص ٢٨٢.

[٦٩] Première Sourate du Coran، نفسه، ٢٨٩.

[٧٠] السورة Sourate، وسور القرآن Les Sourates، المدنية والمكية، نفسه، ص ٢٣١.

[٧١] Les Metres، نفسه، ص ٩٢، وعن الدوائر العروضية التي ليس لها مقابل إنكليزي ولا فرنسي: انظر الصفحات من ١٩٧-٢٠٠.

[٧٢] Edition، نفسه، ص ٢٥٦.

[٧٣] Première Edition، نفسه، ص ٢٥٦.

[٧٤] Edition Critique، نفسه، ص ٢٥٦.

[٧٥] édition augmentée، نفسه، ص ٢٥٦.

[٧٦] هناك: شاعر، ناظم poète، نفسه، ص ٢٣٣. وشعرور poétereau، نفسه، ص ٢٤٠. وشويعر poétereau، نفسه، ص ٢٤٢. والمتشاعر poétereau، نفسه، ص ٣٤٠. إضافة إلى prétetion à la poésie، نفسه، ص ١٢٢٠، وغير ذلك: انظر: ص ٢٤٠.

[٧٧] conformité du mot avec le mot، نفسه، ص ٧.

[٧٨] conformité de la forme avec le sens، نفسه، ص ٧.

[٧٩] conformité du mot avec le metre، نفسه، ص ٧.

مفهوم الأبجدية[٨٠]، وحساب الجمل[٨١]، والتاريخ الشعري[٨٢]، وخلطوا بين الأدب والفلسفة وعلم الاجتماع وعلوم الشريعة والأساطير. وتسربت إلى مصطلحاتهم كلمات غريبة عن هذه الميادين كليا مثل: الأندلس[٨٣] قطع الكتاب[٨٤]، والوعيد[٨٥]، وفن الخط[٨٦]، وغيرها[٨٧]. ففقد المعجم إمكانيات غير قليلة من تلك التي لم يحسن مؤلفوه استخدامها، وبقي بعيدا جدا عن غايتهم المنشودة. ومع ذلك قد يقدم مسردا المصطلحات: الإنكليزي العربي، والفرنسي العربي فائدة مهمة للمترجمين، ومحدودة للباحثين والنقاد.

مشروع نظرة مستقبلية في تصنيف معاجم المصطلحات الأدبية:

لا ريب في أن لما استعرضناه من محاولات تصنيف المصطلحات الأدبية تصنيفا معجميا أهمية جليلة، وفي أن ما وقعت فيه من عثرات يلازم الخطوات الأولى في كل بحث جديد. إلا أن ما صار مؤكدا بعد القراءة النقدية لهذه المحاولات هو عدم جدوى النظرة الموسوعية في تأليف المعاجم الاصطلاحية الأدبية من جهة، وقصور اعتماد النظام الألفبائي وحده في ترتيب المصطلحات. فبدل الموسوعية يجب وضع الحدود لكل علم من علوم الأدب، وذلك بتعيين المصطلحات- المفاتيح التي ينبغي الانطلاق منها، ولا مانع، من بعد، إذا طورت المصطلحات من خلال سياقاتها المختلفة تطويرا موسوعيا. وهذا ما نستقرئ بوادره الآن من تصنيف معجم مصطلحات خاص بالنحو العربي، وعنوانه **"الخليل، معجم مصطلحات النحو العربي"** للدكتور جورج متري عبدالمسيح، وهاني جورج تابري[٨٨]، اللذين حاولا أن يستوفيا في المصطلح النحوي ثمانية عناصر تتعلق بتعريفه ومدلولاته وأركانه والأمثلة الموضحة له[٨٩]. أما النظام الألفبائي في الترتيب فينبغي أن

---

[٨٠] alphabet، نفسه، ص ٩.

[٨١] utilisation des lettres selon leur valeur numérique، نفسه، ص١٨٥.

[٨٢] chronogramme، نفسه، ص ١٠٥.

[٨٣] Andalousie، اسم جنوب إسبانيا [...] وأطلقه العرب على شبه جزيرة إيبيريا، نفسه، ص ٨٤.

[٨٤] format، هو، في الطباعة، بيان طول صفحة الكتاب وعرضها ... نفسه، ص ٣١٩.

[٨٥] menace، هو الانذار بالشر. نفسه، ص ٤٠٨.

[٨٦] calligraphie، جملة القواعد التي يجب مراعاتها لتجويد الخط اليدوي، نفسه، ص ٣٠٧.

[٨٧] مثل سوق عكاظ، نفسه، ص ٢٣١، والأبدي perpétuel، نفسه، ص ١١.

[٨٨] صدر هذا المعجم عن مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٠، وكتب تصديره الدكتور محمد مهدي علام نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

[٨٩] انظر: كراسة معجم الخليل، بيروت ١٩٩٠، ص ١٤.

يكون مسبوقا بخطوة أولى يتم بموجبها رسم الدائرة المفهومية للمصطلحات المترابطة نظريا، ولن يتهيأ ذلك إلا بالاعتماد على نظرية الأدب ذاتها.

فما أهمية الترابط النظري، وأين موقعه من الترابط الدلالي؟

إن كلا الضربين يتكاملان من الوجهة العملية، ولكن الترابط النظري أشمل من الترابط الدلالي الذي اعتمده المصنفون العرب قديما فيما يعرف ب**"معجم المعاني"**، كمعجم **"الألفاظ الكتابية"** لعبدالرحمن بن عيسى الهمذاني، و**"فقه اللغة"** للثعالبي[٩٠]، و**"جوهر الألفاظ"** لقدامة بن جعفر، و**"المخصص"** لابن سيده[٩١]. وفي العصر الحديث استمر اعتماده عند إبراهيم اليازجي في معجمه **"نجعة الرائد في المترادف والمتوارد"** (نفسه، ص ٣) عند نجيب إسكندر رئيس تحرير الموسوعة العربية في **"معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير"**[٩٢]. ففي هذه المعاجم تجمع الألفاظ المترادفة أو المتضادة دلاليا، ثم ترتب ترتيبا ألفبائيا دون النظر في الحقل النظري الذي تنتظم فيه؛ لأن المبدأ الأول المتوخى منها هو القيمة العملية لما تزخر به اللغة العربية من مترادفات، والاستفادة منها في البحث اللغوي، وليس في البحث الاصطلاحي على وجه الحصر. إنما الترابط النظري نتيجة تمحيص نقدي يخرج اللفظة من معناها اللغوي إلى معنى خاص أو اصطلاحي يتوحد مع معاني مصطلحات أخرى ضمن منظومة مفهومية معينة. وعلى أساس هذه المنظومة يمكن تضييق مجال الترابط النظري وقصره على مصطلحات اتجاه نقدي واحد كالبنيوية والأسلوبية وعلم الدلالة وسواقه. وعلى الرغم من تنبه الدارسين العرب إلى هذه الإمكانية، لم يترجموها إلى تصنيف معجمي متكامل، بل اكتفوا بالمسارد الالحاقية التي أشرنا اليها سابقا[٩٣].

وفي حال تناول الترابط النظري للمصطلحات في ضوء نظرية الأدب، يتعين علينا أن ننحو واحدا من منحيين لا نعدم إيجاد تقاطع بينهما:

١) فإما أن نستقصي المصطلحات المنضوية تحت مفهومات الأدب وأجناسه المختلفة بمعزل عن علاقة الأدب بالفنون الأخرى.

ب) وإما أن يكون الاستقصاء مستندا إلى منهج أوسع تشكل فيه نظرية الأدب جزءا من نظرية الفن التي تشكل، بدورها، الموضوع الرئيس لعلم الجمال.

---

[٩٠] انظر حاشية (٢) من هذا البحث.

[٩١] انظر: إسكندر (نجيب)، معجم المعاني، بغداد ١٩٧١، ص ٣.

[٩٢] يصرح المؤلف في مقدمة المعجم، ص ٣، أنه نبّه إلى المصطلحات حيثما وردت. وهذا يعني أن غايته من تصنيفه ليست وقفا على المصطلحات الأدبية أو غير الأدبية.

[٩٣] انظر حاشية رقم ٦ من هذا البحث.

ويتجسد التقاطع بين هذين المنحيين بأن كلا منهما يعتمد التصنيف المقولاتي أو الفئوي classification categorielle، الذي تتوضح بفضله المعالم العامة والخاصة لكل مقولة داخل المنظومة المفهومية والترابط النظري المتولد عنها. وتسجل هذه المقولات تدرجاتها الاصطلاحية بحسب قربها من المفهومات الكبرى، أو بعدها عنها. فثمة في المنحنى الأول مفهوم الأدب وما يتفرع عنه كالشعر والنثر وأشكالهما التعبيرية المعروفة أو المستجدة، إذ إن للقصيدة التقليدية مقولاتها، وللقصيدة الحديثة مقولاتها، وينطبق الأمر نفسه على الرواية والقصة والمسرحية بما هي فنون نثرية. وتنطوي كل مقولة على عناصر تميزها عن غيرها، وما على المصنف المعجمي إلا أن يجد الرابط النظري بين المقولات الخاصة بالمفهوم العام للشكل التعبيري المعني بالتصنيف، ومصدره في هذه الناحية هو كتب النقد التي تستنبط المقولات من النصوص أو تكتشفها اكتشافا، فتصفها وتشرح خصائصها. وهذا ما نراه عند فوستر الذي ميز سبع مقولات في القصة[٩٤]، وعند تودوروف في مقالته **"مقولات القصة الأدبية"**[٩٥]. ونضيف أيضا **"برنارد فاليت"** الذي صنف المقولات في الرواية المعاصرة منطلقا من الوحدات البنيوية التي تمثلها[٩٦].

وفي المنحنى الثاني تظهر طبيعة الأدب عبر مغايرتها لطبيعة الأجناس الفنية الأخرى ومشابهتها لها أيضا. ذلك أن نظام الفنون الجميلة القائم على أصلا على الاختلاف فيما بينها- كما يقول الآن - يوطد ترابطها ويجعلها أمتن وأقوى[٩٧]. ومن ثم يغدو بمقدورنا أن نكون مجموعة من مقولات متدرجة من العام إلى الخاص مثل: الظاهرة الجمالية، الظاهرة الفنية، الظاهرة الأدبية. فالظاهرة الجمالية تساعد، بأبعادها العامة جدا، في تعريف الطابع المميز لموضوعات المعرفة وأشكالها، مما يولدمقولات تدور في مدارها كالمعرفة الجمالية والشعور الجمالي والتقويم الجمالي الذي يجد التعبير الأكمل عنه في ظواهر الفن. وتساعد مقولة الظاهرة الفنية بالكشف عن آليات الإبداع الفني وأشكاله كالرسم والنحت والموسيقى والعمارة والرقص والأدب. وتأتي مقولة الظاهرة الأدبية لتهدد أشكالا تعبيرية أخرو تشترك مع أشكال الفن في تصويرها للحياة وتتمايز عنها بطبيعة هذا التصوير كالشعر والرواية[٩٨] والقصة والمسرحية.

---

[٩٤] وذلك في كتابه "ملامح القصة": Forster, *Aspects of the Novel*. London: E. Arnold, 1927.

[٩٥] T. Todorov: "Les categories du récit littéraire", *Communication* N° 8, 1966.

[٩٦] B. Valette: *Esthetique du roman moderne*, Paris: F. Nathan, 1985.

[٩٧] Alain, *Système des beaux-arts*, Paris: Gallimard, 1953, pp. 7, 8.

[٩٨] يعتبر هنري جيمز هذه النظرة في كتابه: "عن الرواية باعتبارها فنا من الفنون الجميلة": *H. James, Du roman considéré comme un des beaux-arts*, Paris: 1985.

ولما كان الإبداع الفني يفترض وجود مسافة جمالية بين العمل الفني والواقع الموضوعي أو الذاتي، فكل جنس من أجناس الفن يخلق جانبا خاصا من جوانب هذه المسافة دون أن يخرج على مفهومها العام. ويعبر مفهوم **"الصورة"** عن ألوان المسافة حيث نجد مصطلح **"الصورة الفنية"** ومصطلح **"الصورة الأدبية"**[٩٩]، وتحتها جملة القواعد والتقنيات المتطورة عبر التاريخ بما يسمى ب**"المدارس الفنية والأدبية"** كالكلاسيكية، والرومانتيكية، والواقعية. وما هذه المدارس سوى مقولات "أسلوبية-تاريخية"[١٠٠] تعكس الذوق السائد في العصر الذي وجدت فيه. وهكذا يفضي الترابط النظري إلى خلق نسق متكامل من المصطلحات يتيسر ترتيبه حتى من دون الالتزام بالنظام الألفبائي. وغاية كشف الترابط النظري ليست تأليف عدة معاجم في معجم واحد، ولا إضاعة التفرد التعبيري والتقني للأدب أو لأي فن آخر، إنما هو ترجمة لنظرة شمولية نابعة من اعتبار الفن نوعا من الحوار بين روح مرتبطة بمكان وزمان، ومادة تبدو بصورة متماثلة مبنية في كل مكان وكل زمان[١٠١]؛ فهنا يتطابق التساؤل الجمالي مع الحاجة إلى خلق شكل جديد للمادة، أي الحاجة إلى التجسيد mise en forme. ومن المعروف أن كل فن يستعين، في غضون هذه الحاجة بطرائق خاصة في تشكيل مادته، ولا تسمح تقاطعاته مع الفنون الأخرى بعزل طرائقه عن طرائقها عزلا تاما. فهذه التقاطعات هي جوهر الترابط النظري الذي نقترحه ليكون مدخلا إلى التصنيف المعجمي لمصطلحات الأدب. وقد لا تدعو الضرورة إلى التفضيل في مكونات هذا الترابط إلا إذا انطوى على مصطلح أدبي مستعار من حقل مغاير (مصطلح الصورة الفيلمية: l'image filmique المأخوذ من فن السينما)[١٠٢] أو على مصطلح مشترك بين الأدب وفن ثان أو مجموعة فنون (مصطلح الإيقاع rythme الموجود بصورة ما في الفنون كليا، وفي الموسيقا خاصة). حتى إن هناك إمكانية مناسبة لرسم الخطوط العامة للترابط النظري في مخطط توضيحي لا يدخل في متن المعجم، بل يثبت في بدايته وكأنه جزء من المقدمة.

خاتمة :

لا يزيد ما قدمناه في هذه الدراسة على نظرات نقدية أولية خاضعة لكثير من احتمالات الأسئلة الكامنة التي ستزودها بما من شأنه أن يزيدها عمقا ومنهجية. فثمة

---

٩٩ انظر: F. Moreau: *L'image littéraire*, Paris: C.D.U., 1982

١٠٠ انظر: E. Souriau: *Les catégories esthétiques*, Paris: C.D.U., 1956, pp. 76-89.

١٠١ انظر: D. Gayet, *Les formes et l'histoire, l'art pourquou faire?* Paris, 1974, p. 18.

١٠٢ ومصطلحات أخرى كالترافلينغ: travelling = تحريك الكاميرا، والتصوير البانورامي panoramique = العرضاني المعروفين في السينما، والمستخدمين في الرواية.

عناصر متعددة وهامة لم نأت عليها كلها في اقتراحنا بأن ينبثق التصنيف المعجمي عن الاستنباط النقدي وليس عن الجهد اللغوي الهادف فقط إلى إعطاء بديل مترجم لمصطلح أجنبي. لأن ما نريده هو التدليل على ما يتوفر من إمكانيات لاكمال الخطوات الكبيرة التي بدأ بها أصحاب المساهمات التي نقدناها. ولا شك أن اختيار هذه الإمكانية أو تلك سيرتهن بالقدر العلمي والمنهجي الذي نطمح إلى تعزيزه في بناء المعجم الاصطلاحي العربي وتصنيفه. وقد كان لنا في هذا المؤتمر حافز وشرف عظيمان لنقول كلمتنا في موضوع نواجه مصاعبه كل يوم، وعسى أن تتعاضد جهودنا جميعا للخروج بنتائج تقارب ما نسعى إليه، ونعمل على تحقيقه بغية إغناء اللغة العربية واكتشافها أيضا.

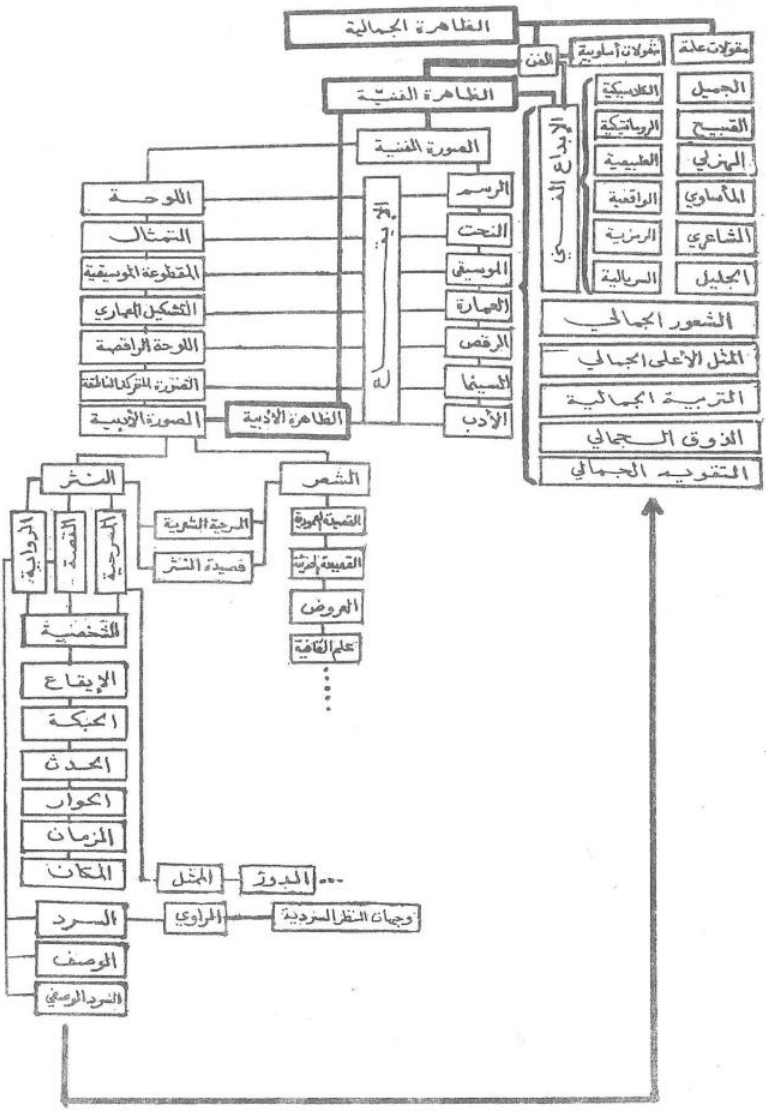

المخطط العام للترابط النظري في تصنية المصطلحات